# الصراع بين الفلسفة والدين

د/ ميلود القمودي (*)

المقدمة :

الصراع بين الفلسفة والدين ليس عاماً أو مطلقاً، فلا الفلسفات كلها رافضة أو ملحدة، ولا الدين اتخذ من الفلسفات كلها موقفاً سلبياً. ولقد كان يشتد الصراح بينهما أحياناً لدرجة إلغاء بعضها البعض، فقامت فلسفات مادية أو ملحدة لا تعترف بالدين ولا بالإلهيات، كما ظهر متدينون وفرق دينية كفرت الفلاسفة والعلماء، فلاحقتهم وأصدرت بحقهم أحكاماً بالموت.

إلا أنه، وفي أحيان أخرى كثيرة، تكاملت الفلسفة مع الدين، وتكامل معه العلم أيضاً، فكانت هناك فلسفات مؤمنة، جهدت في تركيز المعطيات الدينية على أسس العقل وقواعد المنطق، دفاعاً عن العقيدة وحفظاً للتعاليم.

كما ارتفع بالمقابل صوت المتدينين أيضاً، عالياً، بالقول، أن لا دين لمن لا عقل له.

وليس من الضرورة في شيء، أن يتناقض الدين مع العلم بسبب تناقضه مع الفلسفة؛ ولا أن يتناقص مع الفلسفة في حال كونه متناقضاً مع الحتمية العلمية. بذلك نشج، أن تناقض الدين مع العلم، ليس عاماً أيضاً، ولا مطلقاً.

---

(*) قسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة الزاوية .

إن أبرز أوجه تناقض الدين مع العلم، تظهر في عدم إقرار الدين بالحتمية العلمية، لأن من شأن ذلك الإقرار، نفي القدرة والإرادة وحرية الله المطلقة في الأفعال. فالحتمية العلمية تقضي باستحالة تحول العصا إلى ثعبان، وباستحالة أن يوضع إنسان في النار فلا يحترق؛ لكن ذلك جائز في حكم الأديان، والله قادر على فعل كل شيء، وإلا انتهت المعجزات وبطلت الخوارق.

وفي محاولات التقريب بين الفلسفة والدين، قيل: إن الفلسفة تصل عن طريق العقل، إلى الحقائق نفسها التي يقولها الدين عن طريق الوحي.

**المبحث الأول :**

**أولاً- هل الدين يمنع الفلسفة أم يأمر بها :**

إن قوماً عقلاء النوع الإنساني زعموا أن الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تدرك أدواته وأحواله بأسبابها وعللها بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية وأن تصحيح العقائد الإيمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فإنها بغض من مدارك العقل وهؤلاء يسمون فلاسفة جمع فيلسوف وهو باللسان اليوناني محب الحكمة فبحثوا عن ذلك وشمروا له وحوموا على إصابة الغرض منه ووضعوا قانوناً يهدي به العقل في نظره إلى التمييز بين الحق والباطل وسموه بالمنطق وتحصل ذلك أن النظر الذي يفيد تمييز الحق من الباطل إنما هو للذهن في المعاني المنتزعة من الموجودات الشخصية فيجرد منها أولاً صور منطبقة على جميع الأشخاص فإذا نظر الفكري في هذه المقولات المجردة وطلب تصور الوجود كما هو فلا يد للذهن من إضافة ببعضها إلى بعض ونفي بعضها عن بعض بالبرهان العقلي اليقيني ليحصل تصور الوجود تصوراً صحيحاً مطابقاً.

ويزعم المنطقيين أن السعادة في إدراك الوجود على هذا النحو القضاء مع تهذين النفس وتخلقها بالفضائل وأن ذلك ممكن للإنسان ولو لم يرد شرع لتمييزه بين الفضيلة والرذيلة من الأفعال بمقتضى عقله ونظره وميله إلى المحمود منها واجتنابه للمذموم بقطرته[1].

**ثانياً- الصراع بين الفلسفة والدين :**

لقد شدد البعض على الطلاق التام بين العلم والدين، وحيث رأى البعض الآخر، أن اختلاف المجال العلمي عن مجال الإلهيات في الدين، لا يستدعي أي تناقض بينهما، إلا بمقدار ما تنحرف العلوم عن المسار الأخلاقي الذي تقره الأديان. لا بل يمكن للعلم أن يتكامل مع الدين، عندما يكون في خدمة الإنسان ولرفع مستوى البشرية.

وإذا كان اختلاف المجال بين الدين والعلم، عاملاً مساعداً لعدم الاختلاف في التبني، أو التكامل، فإن وحدة المجال تقريباً بين الدين والفلسفة، كانت مدعاة لسوء التفاهم بينهما في أغلب الأحيان[2].

إن التعاليم السماوي، والدينية، تحكي قصة الخلق، وترسم علاقة الإنسان بربهن وبأخيه الإنسان، وعلاقته بالطبيعة.

باختصار، إن موضوعاتها الإلهيات، والطبيعات والأخلاق؛ وهذه هي نفسها موضوعات المجال الفلسفي. لكن الاختلاف بينهما هو اختلاف منهجي. ففي حين يتمثل في التعاليم الدينية الأمر الإلهي، والطاعة تقوم فيها على الإيمان، قبل التعليل العقلي، الذي لا يستبعد عند الضرورة؛ فإن الفلسفة تعتمد العقل طريقاً لبلوغ الحقيقة. طبعاً، هذا شأن الفلسفات المؤمنة، التي تقر

[1] مقدمة ابن خلدون، مؤسس علم الاجتماع، ص٥١٤-٥١٥.
[2] مشكلة الصراع بين الفلسفة والدين، رضا سعادة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٠م.

بوجود الخالق، وبصور العالم عنه، وارتباط مصير هذا العالم به. وإن اختلفت هذه الفلسفات عموماً، مع الأديان عموماً، في هيكيلة وتفاصيل علاقة الخالق بالمخلوقات؛ فإن هذا الاختلاف، ليس بأشد من اختلاف الأديان، فيما بين بعضها البعض، في تعاليمها وفرائضهان وإن أجمعت كلها على التوحيد، وعلى مصير الإنسان.

إن فلاسفة كبار عبر التاريخ، أمثال أفلاطون، وديكارت، وكانط، وهيغل، قد جهدوا في إقامة الدلائل والبراهين العقلية على وجود الله. والمتدينون أنفسهم، خاصة المبشرون منهم، يجهدون أنفسهم خلال مسعى التبشير والهداية، في إقامة الدليل المقنع على وجود الخالق ورعايته للبشر؛ حتى أن فرقاً وجماعات قد اشتغلت بشكل دؤوب في التعليل العقلي لقضايا الإيمان، وفي إرساء تعاليم الدين على أسس العقل وقواعد المنطق.

وفي الجانب الآخر، نرى فلسفات ملحدة قد نشأت، تنفي وجود الخالف ولا تعترف بالأديان، قال بعضهم إن الدين أفيون الشعوب، وأعلن زرادشت (على لسان نيتشيه) موت الرب، وجهد بعض الوجوديين، وعلى رأسهم جان بول سارتر، في إقامة الدليل على عدم وجود الله.

نكتفي بهذا القدر من التلميحات العامة إلى مشكلة الصراع بين الفلسفة والدين، وجانب الصراع بين الفلاسفة العرب المسلمين من جهة، وبين المليين من أهل السنة من جهة أخرى، والقضاء على موضوع الخلاف.

**ثالثاً- هل ألغى كنط المعرفة لكي يفسح مجالاً للإيمان؟**

**العقل والإيمان/**

مع أن فلسفة كنط كانت ولا تزال من أكثر الفلسفات إثارة للأسئلة. فإن هناك سؤالاً بالغ الأهمية لم ينل حظه الكافي من الطرح الفلسفي حتى الآن، وهو:

**هل قيد كنط العقل لكي يفسح مجالاً للإيمان؟**

وبعبارة أخرى: هل كان كنط معبراً بدقة عن طبيعة عمليه عندما قال: "اضطررت إلى استبعاد المعرفة لكي أفسح المجال للإيمان"؟[1].

إن فلسفة كنط ذاتها لم تدعم أي إيمان ديني، وإنما كانت معول هدم وتحطيم لأي لاهوت طبيعي أو مفارق.

"نقد العقل المحض" .. إذا قال: "إذا كان الهدف من استياء بعضهم من أننا لا نملك أي إدراك للطبيعة الداخلية للأشياء، هو أننا لا نستطيع بواسطة العقل المحض أن نتصور ما الذي يمكن أن تكونه هذه الأشياء ... في ذاتها – فالمقصود هو أن يكون بإمكاننا أن نعرف الأشياء، وبالتالي أن نحدسها بدون الحواس، وأن يكون لدينا لذلك ملكة معرفية مختلفة كلياً عن الملكة المعرفية للإنسان، ليس فقط في الدرجة، ولكن أيضاً في الكيف بالنسبة إلى الحدس، بمعنى أخر أن لا نكون بشراً، إننا كائنات لا تملك القدرة حتى على القول بأنها ممكنة، وأسوأ من ذلك (أن نقول) كيف هي مركبة".

إن هذا التفسير لمفهوم الشيء في ذاته يجعلنا نستبعد أن يكون كنط قد قيد العقل لكي يفسح مجالاً للإيمان الديني، لأنه قضى ابستمولوجياً على موضوعات الإيمان، والحالة الوحيدة التي فيها قبول قول كنط ((اضطرت إلى استبعاد المعرفة لكي أفسح مجالاً للإيمان)) هي أن يكون قصده من الإيمان هنا ((الإيمان الأخلاقي)) وليس الإيمان بكائنات مفارقة مثلما هو الحال بالنسبة للاهوت الطبيعي.

[1] فلسفة الدين في ضوء تأويل جديد للنقدية الكنطية –S- محمد عثمان الخشت، جامعة القاهرة، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص٥٢-٥٣.

**المبحث الثاني :**

**أولاً- محاول التوفيق بين الفلسفة والدين :**

العرب في جاهليتهم لم يشتغلوا بعلوم الفلسفة، رغم ازدهارها في بلاد اليونان. ولم يظهر التفكير الفلسفي عندهم إلا بعد ظهور الإسلام، فبرزت معه أهمية العقل والتفكير السليم، ونشأ علم الكلام للدفاع عن العقيدة بعد التسليم بها. ثم توطدت أركان الفلسفة بعد ترجمة الكتب، ونقل الفكر اليوناني إلى العربية.

أما أهل السنة فقد وقفوا من الفلسفة موقفاً سلبياً، وتمسكوا بظاهر النص والإجماع. بينما ظهرت فرق أخرى تمسك بالعقل وتحتكم إليه. واحتدم الصراع بين نزعتين، الدينية والعقلية، تتمثل الأولى بالأشاعرة، والثاني بالمعتزلة والفلاسفة المسلمين إلى أن بلغ ذروته مع الغزالي وابن رشد، في المشادة الفكرية بينهما في كتابي (تهافت الفلاسفة) و(تهافت التهافت)[1].

**ثانياً- موقف الغزالي من الفلسفة :**

تمهيد/ من المعروف أن ابن سينا قد تابع الفارابي في فلسفته التوفيقية وكان يعتبره استاذه العظيم الذي فتح أمامه مغاليق الفلسفة، ولقد انتشرت النزعة التوفيقية في الفلسفة الإسلامية مع ابن سينا انتشاراً واسعاً لم يجد منه في الواقع إلا حملة الغزالي الشهيرة على الفلاسفة.

والجدير بالاعتبار هنا أن تعرف أن الغزالي (الذي عاش فيما بين عامي ٤٥٠هـ و ٥٠٥هـ) كان من أعظم الشخصيات الفلسفية الإسلامية وأكثرها عمقاً وأصالة رغم أنه قاد تلك الحملة المزعومة على الفلاسفة فالواقع أنه قبل

[1] مشكلة الصراع بين الفلسفة والدين، من الغزالي ابن رشد إلى الطوسي والخواجه زاده، ١٩٩٠م-١٤٠١هـ- رضا سعد، دار الفكر اللبناني، بيروت، ص١٥.

أن يكتب "تهافت الفلاسفة" الذي شن فيه هذه الحملة كتب "مقاصد الفلاسفة" فلم يكن من أولئك الذين يهاجمون الفلاسفة عن جهل ودون أن يعرفوا ما هي الفلسفة وماذا قال هؤلاء الفلاسفة[1].

**أما موقف الغزالي من الفلسفة :**

فإن الغزالي لم يهاجم الفلسفة بكافة فروعها بل على العكس؛ فلقد أدرك أن المنطق والرياضيات والطبيعيات والأخلاق والسياسة-وهي جميعاً كان ينظر إليها باعتبارها فلسفة في ذلك الوقت-إنما هي فروع لا غبار عليها بل حض المسلم على أن يقرأها ويتعلم منها ويأخذ عن علمائها. وهو نفسه قد استفاد منها جميعاً في فلسفته الدينية.

وقد وقف الغزالي أمام باب الإلهيات من الفلسفة الأولى (أو الميتافيزيقا) فوجد فيه أكثر أغاليط الفلاسفة وحصر مجموع ما غلطوا فيه فوجده يرجع إلى عشرين أصلاً منها ثلاثة خرجوا فيها على كافة الإسلاميين وهي:

١- إنكار بعث الأجساد .

٢- وقصر علم الله بالكليات دون الجزئيات .

٣- قولهم بقدم العالم وأزليته.

والحقيقة أنه رغم اجتهاد الفلاسفة المسلمين في تأويلاتهم التوفيقية وخاصة الفارابي وابن سينا، فإن لديهما موقفين يعز الدفاع عنهما ومن ثم استحقا هجوم الغزالي عليهما؛ أولهما: الاكتفاء بفكرة "الصنيع" على غرار أفلاطون وهي ليست شيئاً مختلفاً كثيراً عما كان يسمى لدى أفلوطين بالفيض والصدور، وهذا أمر لا يحقق الخلف الذي قصد إليه القرآن والذي يعتمد على

[1] مدخل جديد إلى الفلسفة -s- مصطفى النشار، ط١، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م.

القدرة الله البارئ وإرادته التي تقول للشيء "كن فيكون" وثانيهما: قصرهما العلم الإلهي على الكليات أو محاولة مدة عن طريقها إلى الجزئيات وهذا لا يحقق تماماً اثبته القرآن من أن الله قد أحاط بكل شيء علما.

ومع ذلك فلا ينبغي أ، يظنن أحد أن فيلسوفي الإسلام (الفارابي وابن سينا) قد قالا بذلك زندقة وكفراً كما اتهمهما الغزالي وبعض غلاة الفقهاء، بل الحقيقة أنهما قصدا من ذلك الإمعان في تنزيه فكرة الألوهية وصوغها صياغة عقلية مجردة أي أنهما ساراً مع منطق العقل إلى النهاية فتجاوزا حد العقيدة الإيمانية في هذين الأمرين بالذات، فقد طالبهما الغزالي بالرجوع إلى جادة الصوات والعدول عن كل ما يخالف الدين الإسلامي.

والجدير بالاعتبار والنظر هنا أن حملة الغزالي وانتقاداته كانت على الفلاسفة فقط وبالذات في هذه المواضع التي خرجوا فيها عن جادة الصواب والحق. ولم يكن هجومه كما هو شائع على الفلسفة ذاتها، فهو لم يحرم الفلسفة جملة من غير تفصيل كما قلنا سابقاً. بل اعتمد على المنهج الفلسفي العقلي واستند إليه في كل ما ذهب إليه حتى انتهى في أواخر حياته إلى "التصوف" فاعتمد المنهج النوراني الكشفي وغن كان لا يزال يحترم العقل ويجعله أحد المعايير للحكم على كل ما يخالف الحق والحقيقة، فالعقل هو الميزان الذي قضيه الله للإنسان ليقيس مدى صدق معارفه ووضع الحدود لها.

**الغزالي ودور العقل في الشريعة الإسلامية**

[1] لقد كان الغزالي – له موقفاً متوازناً من مسألة التوفيق بين الشرع والعقل يعبر عنه في قوله: "اعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع والشرع لم

---

[1] مرجع سبق ذكره -s- مصطفى النشار، ص١١٥.

يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأساس، والشرع كالبناء، ولن يغنى أس مالم يكن بناء ولن يثبت بناء مالم يكن أس". فقد أمن الغزالي بدور العقل في بيان العقيدة والشريعة وتقديم الحجج والأسانيد على صحتها ويقينها. إن إيمانه بدون العقل وبضرورة اتباع المنهج العقلي في الوصول إلى الحقائق يقوم على فكرتين اساسيتين يذكر أننا بديكارت رائد الفلسفة الغربية الحديثة في القرن السابع عشر هما "الشك" و"الحدس العقلي" أما دور الشك وأهميته في الوصول إلى الحقيقة فيقول الغزالي: "أن الشكوك هي الموصلة إلى الحق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقى في العمى والضلال". وقد وصف الغزالي نفسه كيف عاش تجربته المعرفية وكيف انتقل في ثناياها من الشك إلى اليقين في كتابه "المنقذ من الضلال".

أما دور الحدس العقلي في الإمساك بالحقيقة والوصول إلى اليقين فيقول فيلسوفنا "إن العلم اليقيني هو الذي يكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى منه ريب، ولا يقاربه إمكان الغلط والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك، بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارباً لليقين مقاربة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلاً من يقلب الحجر ذهباً ،العصا ثعباناً لو لم يورث ذلك شكاً وإنكاراً فإني إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة فلو قال لي قائل: "لا بل الثلاثة أكثر بدليل أني أقلب هذه العصا ثعباناً وقلبها وشاهدت ذلك منه لم أشك في معرفتي ولم يحصل لي منه إلا التعجب عن كيفية قدرته عليه! فإما الشك فيما علمته فلا".

إن طريق الوصول إلى الحقيقة لا يكون إلا باتباع المنهج العقلي الذي يبدأ بالشك وينتهي إلى اليقين.

ويكفينا هذا من الإمام الغزالي لندرك أنه لم يكن مجرد فقيه أو متصوف أو متكلم أو بالجملة لم يكن مجرد رجل دين غادي يدافع عن عقيدته، بل كان

فيلسوفاً يملك من المنهج العقلي والأدلة البرهانية ما يمكنه به الوصول إلى الحقيقة والرد على منكريها سواء كانوا من الفلاسفة أو من غيرهم.

**تأكيد التوفيق بين العقل والشرع**

**ثالثاً- ابن رشد**

**مكانة ابن رشد الفلسفة/[1]**

كانت حملة الغزالي على الفلاسفة في كتابه "تهافت الفلاسفة" أن تقضي على ازدهار الفلسفة في المشرق العربي إلا أنها ازدهرت في المغرب العربي على يد ابن طفيل وابن باجه وابن رشد، وكتب للفلسفة على يد الأخير ازدهار وانتشار ليس في العالم الإسلامي فقط بل وأيضاً في العالم الغربي، فقد كان ابن رشد أكثر فلاسفة العالم الإسلامي تأثيراً في فلاسفة أوروبا في عصر النهضة والعصر الحديث وكانوا يلقبونه في أوروبا " بالشارح الأكبر". لأنه بالفعل كان أكثر من فهم أرسطو وأكثر من شغل بتقدير الشروح المتميزة على فلسفته على وجه لم يظهر فيه لأول مرة في العالم الإسلامي. ومن المعروف أن ابن رشد كان متبحراً في الفقه لدرجة أنه لقب في عصره "بأوحد عصره" في الفقه وتولي وظيفة القضاء ساعده على أن يقدم أقوى رد على تلك الحملة التي شنها الفقهاء بتأثير الغزالي على الفلاسفة، كما نجح في تأكيد نقاط الاتفاق بين الفلسفة والدين أو باصطلاحه بين العقل والشريعة.

**رده على الغزالي والمتكلمين**

كتب ابن رشد كتابه "تهافت تهافت الفلاسفة" في الرد على كتاب الغزالي السابق الإشارة إليه، وعلى كل من هاجموا الفلاسفة أو الفلسفة. وأكد

---

[1] مرجع سبق ذكره -s- مصطفى النشار، ص١١٥-١١٧.

منذ البداية على أن من واجب الجميع أن يحترموا الفلسفة ويقدروا الفلاسفة حتى إذا اختلفنا معهم أو حتى إذا أخطأوا. فالواجب فيما يرى ابن رشد أن لا ننكر فضلهم في النظري العقلي، فلو لم يكن لهم إلا صناعة المنطق لكان واجباً علينا وعلى جميع من عرف هذه الصناعة أن يشكرهم عليها وأن يستفيد منها.

أما فيما يتعلق بالمسائل التي أخذها الغزالي على الفلاسفة فقد رد عليه ابن رشد مسألة بعد أخرى مؤكداً أنه من الضروري فيما يتعلق بفكرة الألوهية أن نخاطب الناس على قدر عقولهم وأن نميز بين تصويرين متميزين؛ أحدهما للعامة والآخر للخاصة، الأول خطابي والثاني برهاني.

وقد عاب على المدارس الكلامية أنهم بلبلوا أذهان العامة وعقدوا الأمور علي الجماهير، كما عاب علي الغزالي أنه كشف في تهافته عن أمور كان الأول بها أن تقتصر على الخاصة وألا يشتغل بها العامة.

على كل حال، فإن هذه المحاورات الفكرية بين الفلاسفة من جهة وبين الفقهاء والمتكلمين من جهة أخرى، وبين كل واحد من هؤلاء وأولئك وبين رفاقه إنما تمثل ظاهرة فكرية صحية برهنت على حيوية المسلمين وإعمالهم للعقل وللإجتهاد في كل شيء. وقد كان ذلك الصدام الشهير بين الغزالي والفلاسفة السابقين عليه من جهة، وبين الغزالي وابن رشد من جهة أخرى أكثر دلالة على أن الخلاف لا يفسد للود قضية بين والمتأمل في هذه المبادئ الإعتقادية التي أكد ابن رشد أن على الجميع الإقرار بها يجد أنها ليست فقط مبادئ وعقائد دينية وإنما أيضاً مبادئ فلسفية عقلية يتوصل إليها كل ذي عقل سليم وبرهان سديد.

فهذه الاعتقادات الإيمانية-العقلية إنما تعبر عن ذلك التوافق المنشود بين الشرع والعقل أو بين الدين والفلسفة.

الخاتمة :

**بعد هذه الجولة في رحاب الفلسفة ومحاولة التوفيق وبينها وبين الدين توصلت أنا الباحثة إلى القول:**

هناك فروق جوهرية بينهما وإذا كان في هذه الفروق ما يشعرنا باختلاف طريق الدين عن طريق الفلسفة، فإنها مع ذلك لا تؤدي إلى استبعاد محاولة التوفيق بين الفلسفة والدين.

إن مشكلة التوفيق بين الفلسفة والدين عند الفلاسفة الدين بحثوا فيها، إنما هي مشكلة تاريخية، ليس من المناسب بعد أن زالت تلك الأسباب التاريخية، أن نخصص بحثنا من أجل دراستها تضيف إلى ذلك قولنا، بأننا لو تعمقنا في محاولات التوفيق التي أتى بها كلَ فلاسفة العرب، فإننا نجد بعضاً منها منحازاً إلى الجانب الديني على حساب الفلسفة وبعضها عكس ذلك كل هذا فيما نرى لا طائل ولا ثمرة من ورائه. بدلاً من التركيز على محاولة التوفيق بين الفلسفة والدين.

**المصادر والمراجع :**

١- المقدمة، ابن خلدون، أ- تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي، المطبعة الكاثوليكية، بيروتن ١٩٦٢م ٢- تهافت التهافت، ابن رشد، دار المعارف، ١٩٦٤م.

٢- مشكلة الصراع بين الفلسفة والدين، الدكتور رضا سعادة، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

٣- فلسفة الدين في ضوء تأويل جديد للنقدية الكنطية، الدكتور محمد عثمان الخشت، دار غريب للطباعة والنشر.

٤- مدخل جديد إلى الفلسفة، الدكتور مصطفى النشار، ط١، دار قباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨م.